The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)

Volume 1, Issue 2, April-June 2023, Page No: 40-46
Website: https://najsp.com/index.php/home/index

أسماء الأعلام والمعاني الإيحائية

عبد الجبار مرابطي *
كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، جامعة محمد بن عبد الله، فاس، المغرب

Proper names and suggestive meanings

Abdeljabbar Mrabti *
Faculty of Arts and Human Sciences Saiss, University of Mohamed Ben Abdullah, Fez, Morocco

*Corresponding author	mrabtiabdeljabbar@gmail.com	*المؤلف المراسل

تاريخ النشر: 2023-04-10	تاريخ القبول: 2023-04-07	تاريخ الاستلام: 2023-03-10

الملخص

أثارت قضية معنى الأعلام إشكالات حقيقية بين اللغويين والفلاسفة، واختلفت المواقف حول هذه القضية بين قائل بخلو الأعلام من المعنى وبين مؤكد على غناها الدلالي. غير أن معظم التصورات تقر بأن افتقارها إلى المعنى المعجمي لا يعني خلوها من المعنى تماما، بل إنها تعتبر أغنى المقولات اللغوية من حيث دلالتها، إذ تفيد معاني ضمنية كثيرة إيحائية ومجازية. وتركزت هذه الورقة على دراسة المعاني الإيحائية التي يستدعيها اسم العلم في الذهن. وهي معان يتشكل بعضها انطلاقا من الصورة اللغوية للاسم وما يصاحبها من دلالات مختلفة. وتتأسس المعاني الأخرى على الأوصاف التي يسندها الأفراد في العادة إلى المرجع أي حامل الاسم.

الكلمات المفتاحية: اسم العلم، المعنى، الإيحاءات، الأوصاف، المرجع.

Abstract

The question of the meaning of proper names has raised real problems between linguists and philosophers, and positions diverge on this issue between those who say that proper names are meaningless and those who affirm their semantic richness. However, most perceptions admit that their lack of lexical meaning does not mean that they are completely meaningless, but rather that they are considered the richest linguistic utterances in terms of meaning, because they benefit from many meanings. suggestive and metaphorical implicit. This article focuses on the study of the suggestive meanings that the name of science evokes in the mind.

Keywords: Proper name, Meaning, The suggestive meaning, Descriptions, Reference.

مقدمة:

أثارت قضية معنى الأعلام إشكالات حقيقية بين اللغويين والفلاسفة، واختلفت المواقف حول هذه القضية بين قائل بخلو الأعلام من المعنى وبين مؤكد على غناها الدلالي. غير أن معظم التصورات تقر بأن افتقارها إلى المعنى المعجمي لا يعني خلوها من المعنى تماما، بل إنها تعتبر أغنى المقولات اللغوية من حيث دلالتها؛ إذ تفيد معاني ضمنية كثيرة إيحائية ومجازية. وسنركز على دراسة المعاني الإيحائية التي يستدعيها اسم العلم في الذهن. وهي معان يتشكل بعضها انطلاقا من الصورة اللغوية للاسم وما

يصاحبها من دلالات مختلفة. وتتأسس المعاني الأخرى على الأوصاف التي يسندها الأفراد في العادة إلى المرجع أي حامل الاسم.

من الثابت أن الأعلام لا تملك معنى ثابتا في اللغة كما أنها لا تخلو منه تماما، بل على العكس من ذلك تتميز بغنى دلالي ناتج عن تعدد المعاني الإيحائية المقترنة به. وهي معان يستمد بعضها من دلالة الاسم الاشتقاقية. وتؤخذ باقي المعاني من الأوصاف المصاحبة لحامل الاسم.

1. أسماء الأعلام والدلالة الإيحائية

يعتبر المعنى الإيحائي من المعاني الأساسية المصاحبة لكل العلامات اللغوية، سواء أكانت أسماء عامة أو أعلاما. وتكمن قيمة اسم العلم في كونه يوحي بمعان إيحائية مختلفة تبعا لتعدد سياقات استعماله. ويمكن للمعنى الإيحائي أن يستفاد من الصورة اللغوية للاسم، كما يمكن أن يستمد من المرجع. وهذا ما أشار إليه فان لانجندونك (2007)، معتبرا أن الدلالتين معا تشكلان معاني إيحائية محتملة تقابل المعاني الاقتضائية الملازمة لكافة الأسماء (Van Langendonck2007 :22).

بينما ترى ماري كاري بريور Marie Gary Prieur (1994) أن الإيحاء يختص فقط بالعلامة اللغوية دون المرجع، عكس "المحتوى" الذي يفيد الدلالة؛ إذ يرتبط بمجموعة من الأوصاف المميزة للمرجع الأولي. وعلى الرغم من أن المحتوى لا يتدخل في تشكيل المعنى الإيحائي فإنه يمثل منطلقا أساسيا لتأويل الدلالات الاستعارية والكنائية للأعلام (Gary (Prieur1994 :53-57).

2. الدلالة الإيحائية للصورة اللغوية للاسم

تكتسب الدلالة الإيحائية لاسم العلم غناها حينما تكون الصورة اللغوية للأعلام مجانسة للألفاظ العامة. لذلك تُفضَّل التسمية بالأعلام المجانسة لألفاظ عامة مشحونة بدلالات إيحائية إيجابية؛ فقد تسمى البنت "وردة" أو نرجس، أو ياسمين لإفادة معاني الطيبوبة والجمال. وعادة ما ينتقي الآباء أسماء خاصة لأبنائهم تحمل حمولة إيحائية إيجابية تعبر عن القيم النبيلة السائدة في ثقافتهم، كأن يختار العربي أسماء دالة على قيم الشجاعة مثل (أسد وليث وأسامة وصقر...).

ومما يؤكد أن التسمية عند العرب وثيقة الصلة بمعاني الأسماء العامة أن الكثير من الأعلام تشترك مع الأسماء العامة في نفس الأصل الاشتقاقي. وهو ما أثبته ابن دريد (321ه) في كتابه "الاشتقاق" في سياق الرد على من يحتج بأن العرب تسمي بأسماء لا معنى لها مستشهدين بموقف الخليل الفراهيدي الذي سأل ذات يوم أبا الدقيش عن معنى اسمه فأجابه قائلا: "لا أدري إنما هي أسماء نسمعها ولا نعرفُ معانيهَا" (ابن دريد 1991: 4).

لاستبعاد التصور المعارض يستحضر ابن دريد جواب العتبي عن تساؤل بعض المنكرين لدور معنى الاسم في بناء التسمية عند العرب؛ حيث تساءل هؤلاء كيف نفسر تسمية العرب أبناءهم بأسماء مستشنعة وتسمية عبيدهم بالأسماء المستحسنة؟ وقد أجاب العتبي عن هذا التساؤل قائلا: "لأنها سمت أبناءها لأعدائها، وسمت عبيدها لأنفسها" (ابن دريد 1991: 4) ينبئ هذا القول عن وعي العرب بأهمية استحضار معنى الاسم عند التسمية، بل يوحي أيضا بخطورة الاسم ووظيفته التأثيرية على نفسية المخاطب. ولا يمكن أن نفهم الأثر الكبير للاسم على نفسية الإنسان العربي إلا بربطه بالسياق الثقافي للمجتمع العربي التقليدي، وما تميز به من عصبية قبلية وصراعات دامية بين جميع مكوناته.

على هذا الأساس، يختار العرب أسماء لأبنائهم توحي بمعاني القوة والثبات والشجاعة والانتصار على العدو مثل غالب وغَلاّب وظالم وعارم ومُنازِل ومقاتل ومُعارِك وثابت ومُسهِر ومُؤرِّق ومصبِّح ومنبِّه وطارق... كما تُختار أسماء خاصة بالسباع ترهيبا للعدو مثل أسد، وليث وفَرَّاس وذِئب وسِيد وعَمَلّس وضِرغام... وأسماء أخرى لها صلة بما غلظ وخشن من الشجر لِبَثّ الرُّعْب في الأعداء نحو طلحة وسَمُرة وسَلَمة وقَتَادة وهَراسة. ومن الأسماء العربية ما أخذت مما سمي بما غُلظ من الأرض وخشُن لمسُه وموطِئُه مثل حَجَر وحُجَير، وصَخْر وفِهر وجَندل وجَرْوَل وحَزْن وحَزْم (ابن دريد 1991: 4-5).

وتُفضَّلُ التسمية أيضا بأسماء توحي بمعانٍ إيجابية تفاؤلا باتصاف أصحابها بقيم نبيلة في المستقبل مثل (نائل ووائل وناجٍ ومُدرِك ودَرَّاك وسالم وسُلَيم ومالك وعامر وسعد وسَعِيد، ومَسْعَدة وأسعَد). وتوحي

هذه الأسماء بدلالات إيجابية تفيد معاني السعادة والفوز والنجاة والصحة والعافية والغنى. ويندرج اسم الرسول محمد (ص) ضمن هذه الأسماء، وهو مشتق من الحمد، ورد على وزن مُفَعَّل؛ لأنه حُمِد مرّةً بعد مرة. كما تقول كرَّمته وهو مكرَّم، وعظّمته وهو معظَّم، إذا فعلتَ ذلك به مرارا على خلاف الاسم محمود الذي حُمِد مرة واحدة (ابن دريد 1991: 7) ومنه قول الشاعر في (1):

(1) فلستَ بمحمودٍ ولا بمحمَّدٍ *** ولكمَا أنت الحَبَنْطَى الحُباتِرُ.

ولا يكون اختيار الأعلام في حقيقة الأمر اختيار عشوائيا، وإنما يعتمد اعتمادا كليا على ما يمكن أن توحي به الصورة اللغوية للاسم من دلالات ارتباطية؛ فالروائي مثلا يختار أسماء لشخصياته تناسب الدور الذي تقوم به في الرواية، وتوحي في الوقت نفسه بالأوصاف النفسية التي تتصف بها. وتستثمر الدلالة الإيحائية للاسم أيضا في مجال الإشهار؛ حيث تطلق على المنتوجات في العادة أسماء توحي بجودتها وأهميتها في الحياة الإنسانية. وينتقي التجار وأصحاب المصانع وأرباب المقاهي أسماء توحي بقيم اجتماعية نبيلة.

يمكن أن تكتسب صيغة الاسم دلالة إيحائية ناتجة عن الدلالة الرمزية للحروف المشكلة لبنيته الصوتية. وقد عرض ابن جني في كتابه "الخصائص" الأوجه المختلفة لمناسبة اللفظ لمعناه؛ ففي سياق حديثه عن الاشتقاق الأكبر أثبت أن التقاليب المختلفة للكلمة الواحدة تنتج عنها كلمات أخرى مشتركة في معنى عام يجمع فيما بينها، ويضرب بعض الأمثلة على ذلك من ضمنها التقاليب الستة المكونة من الأحرف الثلاثة (القاف والسين والواو)، وناتج تقليب هذه الأصول الثلاثة خمس كلمات مستعملة وكلمة واحدة مهملة "س ق و". وتشترك الكلمات المستعملة في معنى عام دال على القوة والاجتماع؛ فالقسوة دالة على شدة القلب واجتماعه، وسميت القوس بهذه التسمية لشدتها واجتماع طرفيها، ومنها الوسق للحمل لشدته واجتماعه (ابن جني، ج1: 137-138).

ومن أوجه المناسبة بين اللفظ والمعنى أن اشتراك الألفاظ في بعض الأصوات يؤدي إلى اشتراكها في المعنى المستفاد منها. وهذا ما أوضحه ابن جني في باب "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني". وقد استشهد بقوله عز وجل: "أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا"[1]، فأوضح أن الفعل "أز" يشترك مع "هز" في الحروف ويناسبه في المعنى الذي يدل عليه، لكن استعمال الهمزة في هذا السياق أنسب للتعبير عن قوة تأثير الشياطين على الكافرين لأن صوت الهمزة أقوى من الهاء.

إن تقارب الحروف المشكلة للبنية الصوتية للألفاظ على مستوى المخارج أو الصفات قد يفضي إلى اشتراك في الدلالة؛ فاللفظان "الغدر" و"الختل" يحملان معنيين متقاربين لتقارب أصواتهما في المخرج والصفة. ومن الملاحظ أن الغين والخاء تشتركان في المخرج وهو أدنى الحلق. وتجمع بينهما صفات الانفتاح والاستعلاء والرخاوة، وتفصل بين الصوتين صفة الجهر المميزة لحرف الغين وصفة الهمس المرتبطة بحرف الخاء. وتختلف الدال عن التاء في صفة الجهر وتتفقان في المخرج وسائر الصفات.

ومن صور المناسبة بين اللفظ والمعنى أن تأتي الألفاظ على صيغة معينة لإفادة معنى يشاكل الصورة اللفظية التي صيغ اللفظ وفقها. ويستشهد ابن جني بموقف الخليل الذي أثبت صحة هذا المذهب في قوله: "كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صرَّ وتوهموا في صوت البازي تقطيعا، فقالوا: صرصر (ابن جني، الخصائص، ج1: 154). ويوافقه سيبويه الذي رأى أن المصادر التي وردت على صيغة الفَعَلان تفيد الاضطراب والحركة؛ فالصورة اللفظية لمثل هذه المصادر تتميز بسرعة جريانها على الألسن نتيجة تتابع الحركات المشكلة للفظ، مما جعل هذه الصيغة دالة على حركة الأفعال التي تحاكيها.

ويرى ابن جني أيضا أن الأصوات قد تحاكي الأحداث التي يدل عليها اللفظ في قوله "أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونهج متلئب عند عارفيه مأموم؛ وذلك أنهم كثيرًا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبَّر بها عنها" (ابن جني، الخصائص، ج2: 159). ومن الأمثلة الدالة على مناسبة الأصوات للأحداث الدالة عليها الفرق بين "القضم والخضم" فالأول يفيد أكل اليابس بينما يعني اللفظ الثاني أكل الرطب. والفارق بين اللفظين حرف واحد هو القاف

[1]- سورة مريم الآية 83.

الذي أكسب الكلمة التي تتضمنه قوة، والخاء أضعف من القاف، مما جعل اللفظ الذي يتشكل منه دالا على معنى يناظره. وعلى النحو نفسه يمكن تفسير الفرق بين لفظتي "النضخ والنضح"، فما دامت الخاء أقوى من الحاء فقد جعل النضخ صفة للماء القوي والنضح صفة للماء الضعيف (ابن جني، الخصائص، ج2: 159-160).

إن استثمار الطاقة الرمزية للأصوات في اللغات مسألة مهمة استثمرها اللغويون للوصول إلى المعنى الإتيمولوجي للألفاظ ولتأكيد مناسبة الأسماء لمسمياتها، بل إن بعض التجارب المخبرية التي أجريت في إطار اللسانيات النفسية العصبية قد أثبتت أثر بعض الأصوات المشكلة للأسماء على التكوين النفسي لشخصية أصحابها؛ حيث ثبت تجريبيا أن الأطفال الذين تتضمن أسماؤهم الصوتين الانفجاريين K وT غالبا ما يتصفون بسمات القبح والقساوة. غير أن هذه القيم الدلالية الإيحائية تصدق على الأسماء حال كونها غير مرتبطة بمرجع محدد. أما إذا اتخذت تسمية لشخص ما فإن بعض القيم الدلالية التي لا تتناسب مع المرجع تختفي لتظهر قيم إيحائية جديدة أكثر تناسبا (Jonasson Kerstin1994 :133).

يؤكد جوزيف فندريس الدلالة الإيحائية للأسماء قائلا: "كل كلمة أيا كانت توقظ دائما في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة، رضية أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، معجبة أو مضحكة، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه، وقبل أن يعرف هذا المعنى في غالب الأحيان. أُذكر اسم إنسان ما أمام شخص لم يره قط، فإنه يُكوّنُ عنه فكرة في الحال، فكرة زائفة على وجه العموم، فإذا ما قدمت له هذا المجهول أجابك على الفور"أ هو هذا؟ ما كنت أظنه هكذا، مثل هذا الشيء نفسه يحصل بالنسبة لكلمات اللغة، فإدراكنا للأشياء خاضع لانطباعات فجائية منبعثة من الاسم الذي يدل عليها"(جوزيف فندريس، اللغة:237).

ويؤيد أوتو جسبرسن (1922) otto Jespersen مذهب المناسبة بين الاسم والمسمى، لكنه ينبه إلى أن المناسبة لا تطرد في جميع اللغات، بل إن بعض الكلمات تفقد صلتها بمسماها مع مضي الزمن. بينما تكتسب كلمات أخرى صلتها بمسمياتها بعد أن كانت تفتقدها من قبل (Jesperson1922:407).

ولتأكيد دور الرمزية الصوتية في استيحاء الدلالة من الألفاظ، قدم إبراهيم أنيس لمجموعة من الطلبة أشكالا خيالية متماثلة شكلا ومختلفة حجما. وطلب منهم أن يختاروا الاسم المناسب لكل شكل من الأشكال المعروضة عليهم.

عرضت التجربة الأولى شكلين متشابهين أحدهما كبير والآخر صغير. وأخبر الطلبة أن أحدهما اسمه (زليع)، والآخر يطلق عليه (زلوع). بعد إجراء هذه التجربة لوحظ أن أغلب الطلبة ربطوا الاسم (زلوع) بالشكل الكبير الحجم، والاسم الثاني (زليع) بالشكل الأصغر. وقد خلص إبراهيم أنيس إلى أن ياء المد أو الكسرة يوحيان بصغر الحجم، عكس حروف التفخيم التي تشي بالأشكال الضخمة. (إبراهيم أنيس، 1976: 77-76).

ينبه ألرتون (1987) Allerton إلى أن الأعلام تدل على جملة من الإيحاءات المرتبطة بصيغة الاسم، على الرغم من كونها لا تحمل أي معنى معجمي. ويدعو الباحث إلى ضرورة التمييز بين دواعي اختيار الأسماء ودلالتها؛ فقد يُختار الاسم لأسباب صوتية كخفة جريانه على اللسان. ويمكن أن يفضل اسم ما دون غيره من الأسماء، لارتباطه بشخصية طيبة خلفت أثرا طيبا على الوالدين. وتوحي بعض الأسماء الأخرى بالطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها حاملها. كما يمكن أن تفيد إيحاءات دالة على الديانة التي يدين بها الشخص (Allerton1987 :72).

يعتبر معظم اللسانيين أن الأعلام تفتقر إلى المعنى المعجمي، وتحيل على مرجعها بطريقة مباشرة دون وساطة المعنى. وقد تبنى هذا الطرح كل من ألرتون(1987) Allerton، و دالبير Dalbert (1985)، وكرانجر (1982) Granger، ولهرر (1986) Lehrer، وليز (1979) Leys، وليونز (1978) Lyons. وبدلا من الحديث عن القيم الدلالية المعجمية لأسماء الأعلام يتحدث هؤلاء عن التوافقات الاجتماعية والثقافية التي تتحكم في إسناد الأعلام إلى حامليها؛ إذ تقترن بعض الأسماء في العادة بكائنات إنسانية مذكرة، كقولنا بيير أو بول. بينما ترتبط أسماء أخرى ببعض الحيوانات، كالكلب مثلا الذي يسند إليه في العادة اسم Medor. على هذا النحو، يمكن للمخاطب بعد سماعه الاسم أن يتوقع انتماءه

النوعي، لأن الاسم العلم غالبا ما يستجيب لما تسميه كارول (1983) Caroll المَقْوَلَةُ النَّوْعِيَّةُ catégoristation sortale، أوما يطلق عليه كرانجر (1982) Granger الإطار التصنيفي cadre classificateur (Jonasson1994 :121-122).

توحي أسماء الأعلام في الواقع بإيحاءات ثقافية واجتماعية متعددة؛ حيث تختص بعض التسميات بالديانة الاسلامية كالأسماء المضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى مثل عبد الله وعبد الرحمان، وأسماء الأنبياء [2]. إلا أنه لا يجوز أن يكني الرجل ابنه بكنية الرسول "أبو القاسم" لقوله عليه الصلاة والسلام: "تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي"[3]. أما من يعتنق الديانة اليهودية فقد عرف بأسماء مشهورة مثل (صموئيل، وأبراهام، وموسى وسولمس...).

غير أن هذه الضوابط الاجتماعية والثقافية التي تتحكم في انتقاء الأسماء ليست مُلْزِمَةً من وجهة نظر لغوية، إذ يمكن للمتكلم ألا يلتزم ببعضها، كأن يختار اسما خاصا بالإنسان فيسمي به كلبه. ولا يُعَدُّ مِثْلُ هذا الاستعمال خرقا لقيود لغوية، وإنما يعبر عن عدم الالتزام ببعض المواضعات الاجتماعية، بخلاف الأسماء العامة التي يجب أن تحيل على مسماها بمقتضى بعض الأوصاف الضرورية التي يجب أن تتصف بها. ولا يجوز أن نسمي حيوانا كلبا إلا إذا توفرت فيه بعض الشروط الضرورية والكافية التي تجعله يسمى بهذا الاسم. وإذا ثبت انتماؤه إلى فصيلة الكلاب، فليس من الممكن أن نسميه شيئا آخر غير الكلب، وإلا سيكون ذلك خرقا لقيد من القيود اللغوية التي تحول دون ضمان التواصل (Jonasson1994 :121-122).

3. الدلالة الإيحائية المصاحبة لحامل الاسم

يستوجب تأويل أسماء الأعلام استدعاء معارف متنوعة يعود بعضها إلى ما توحي به الصورة اللغوية للاسم، ويرجع البعض الآخر إلى المعارف الموسوعية التي يملكها أطراف الحوار حول حامل الاسم؛ أي مختلف الأوصاف التي يعرف بها. ويقتضي استدعاء الاسم إلى الذاكرة استحضار مجموعة من الأوصاف المقترنة به. ولا يمكن الوصول إلى حوار ناجح إلا إذا كان المتكلم والمخاطب يتوفران على بعض الأوصاف التي تمكنهما من التعرف على موضوع الخطاب.

وإذا كانت أوصاف المرجع لا تشكل المعنى المعجمي للأعلام، فإنها تمثل خلفية معرفية ضرورية تؤمن فهم أسماء الأعلام وتأويلها داخل الخطاب. وتختلف الأعلام فيما بينها من حيث المعرفة اللازمة لفهمها. وتميز كرستين جوناسون بين الأعلام التاريخية (nom propres historiques) والأعلام المألوفة (nom propres familiers) يعين النوع الأول مراجع بارزة ثقافيا؛ لأنها تمثل شخصية مرموقة في التراث الثقافي العربي أو الأجنبي، بل استطاع بعضها أن يفرض نفسه، ليصبح جزءا من التراث الإنساني العالمي. ويستدعي هذا النمط من الأعلام معارف موسوعية كثيرة تحتم على المخاطب أن تكون له ثقافة عامة تسمح له بفهم شخصية المتحدث عنه، ودوره الثقافي والعلمي الذي أكسبه الشهرة.

2- أورد الإمام البخاري في هذا الصدد الحديث التالي: "عن أبي وهب الجشمي – وكانت له صحبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تسموا بأسماء الأنبياء، وأحب الأسماء إلى الله عز وجل: عبدالله وعبد الرحمان، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة." البخاري (محمد بن إسماعيل)، صحيح الأدب المفرد، تح محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق، الطبعة الرابعة، 1997، ص:313.

3- يعرض النووي خلاف العلماء في مسألة جواز التسمية بأبي القاسم؛ إذ يقول: "اختلف العلماء في هذه المسألة على مذاهب كثيرة وجمعها القاضي وغيره أحدها مذهب الشافعي وأهل الظاهر أنه لا يحل التكني بأبي القاسم لأحد أصلا، سواء كان اسمه محمدا أو أحمد أم لم يكن لظاهر هذا الحديث. والثاني أن هذا النهي منسوخ فإن هذا الحكم كان في أول الأمر لهذا المعنى المذكور في الحديث، ثم نسخ. قالوا فيباح التكني اليوم بأبي القاسم لكل أحد سواء من اسمه محمد وأحمد وغيره، وهذا مذهب مالك قال القاضي: وبه قال جمهور السلف وفقهاء الأمصار وجمهور العلماء. قالوا وقد اشتهر أن جماعة تكنوا بأبي القاسم في العصر الأول، وفيما بعد ذلك إلى اليوم مع كثرة فاعل ذلك وعدم الإنكار. والثالث مذهب ابن جرير أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهي للتنزيه لا للتحريم. الرابع أن النهي عن التكني بأبي القاسم مختص بمن اسمه محمد أو أحمد، ولابأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين، وهذا قول جماعة من السلف" النووي (ابو زكرياء) المنهاج، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثانية،1392، ج14ص:112.

غير أنه يكفي في بعض السياقات أن يكون المخاطب عارفا بمجال التخصص الذي تنتمي إليه الشخصية المذكورة، كأن يَعْرف مثلا أن نيوتن عالم فيزيائي. وفي سياقات أخرى، يجب أن يحيط بكل التفاصيل الجزئية التي تشكل نظريته العلمية.

ولا تتطلب الأعلام المألوفة كزيد وعمرو قدرا كبيرا من المعلومات لفهمها في الخطاب. ويفترض ذكر الاسم معرفة المتكلم والمخاطب لبعض أوصافه. قد تكون هذه المعرفة محدودة مقتصرة على جزء يسير من الأوصاف، لكنها تضمن تحديد الشخص موضوع الخطاب. في بعض السياقات، يمكن أن تكون معرفة عن طريق الاسم فقط. وقد يُعرف الشخص، لا في ذاته، ولكن في علاقته بشخص آخر (Jonasson1994 :121-122).

وتختلف المعارف المفترضة حول الشخص باختلاف السياقات التي يُذكر ضمنها، فإذا ذكرنا الشخص في الوسط العائلي الذي ينتمي إليه فإن أفراد أسرته يعرفونه بأوصاف خاصة تميز علاقته بهم. أما إذا استحضرنا الاسم نفسه داخل الشركة التي يعمل بها، فإن زملاءه يحددونه بأوصاف خاصة تبعا لطبيعة المهمة التي يزاولها. وقد يعرف عندهم بلقب جديد.

وتبعا لذلك، ليست أوصاف الأشخاص ثابتة، بل هي أوصاف ذاتية تختلف من شخص لآخر، وتتنوع بتنوع السياقات. ومن ثمة، رفض رواد النظرية الإحالية اعتبار الأوصاف جزءا من معنى اسم العلم. وفي السياق نفسه، أنكر الكثير من اللغويين تضمن الأعلام لمعنى معجمي ثابت، بالنظر إلى أن الأوصاف تظل محتملة ونسبية وذاتية.

ولا يقتصر تعدد الأوصاف واختلافها على أعلام الشخص، وإنما يختص أيضا بالأعلام الدالة على المكان. غير أن أعلام المكان تتميز بأوصاف ثابتة تحدد طبيعة المكان وموقعه الجغرافي ومكانته التاريخية. وثمة معان إيحائية أخرى للمكان ناتجة عن التجارب الشخصية للأفراد، والتي تجعل منه ذاكرة تثير في نفسية الفرد مشاعر متضاربة من الحزن والأسى أو الفرح والسرور.

وقد ينزاح العلم عن وظيفته الإحالية ليفيد وظائف وصفية حملية. وانسجامًا مع هذا الانزياح تأثرت البنية التركيبية للأعلام، فأصبحت مماثلة للأسماء العامة من حيث قبولها لأدوات التعريف.

الخاتمة

انطلاقًا مما سبق يتضح أن الأعلام تتميز بغنى دلالي ناتج عن كثرة المعاني الإيحائية التي يستدعيها في الذهن وهي معان يتشكل بعضها انطلاقًا من الصورة اللغوية للاسم وما يصاحبها من دلالات مختلفة، وتتاسس المعاني الأخرى على الأوصاف التي يسندها الأفراد في العادة إلى المرجع أي حامل الاسم.
ولا تخلو الأعلام من المعاني المجازية التي تكسبها ثراء دلاليًا وغنىً تأويليًا، مما يقودنا إلى إعادة النظر في القول باقتصار الأعلام على الوظيفة الإحالية، ويدفعنا هذا الافتراض إلى تأكيد الاستعمال الوصفي للأعلام، فضلا عن استعمالها الإحالي، وتظل المعاني الاستعارية والكنائية للأعلام أبرز مظاهر الدلالة المجازية.

المصادر والمراجع المعتمدة:

1. إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، الطبعة الثالثة 1976.
2. ابن جني، "الخصائص" تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية.
3. ابن دريد، كتاب الاشتقاق، تحق عبد السلام محمد هارون الناشر، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1991م.
4. سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
5. فندريس جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، دون تاريخ النشر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. D.J.Allerton1987, The linguistic and sociolinguistic statut of proper name:what are they, and who do they belong to? Journal of Pragmatics 11.
2. kerstin Jonasson1994, nom propre : constructions et interprétation,edition Duculot,
3. Marie Gary Prieur1994, la grammaire du nom propre, Puf, Linguistique nouvelle, Paris.
4. Otto jespersen 1922, language its nature development and origin ,George Allain and Unwit LTL, printed in Great Britain.
5. Willy Van Langendonck, Theory and Typology of proper names, Mouton de Gruyter Trends in Linguistics studies and monographs168, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data, 2007.